(٨٨)

سرية مؤتة
وسيف الله المسلول

* ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

[سورة مريم: الآيات: ٧١ – ٧٢]

* يا نفس إلاّ تُقتلى تموتى
هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت
إن تفعلى فعلها فقد هُديت

* ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله.

* ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾﴾

[سورة آل عمران: آية: ١٣]

* * *

«المدينة فى جمادى الأولى من السنة الثامنة للهجرة، والجو ملبد بغيوم تجبر الروم ومن والاهم وعيثهم فى الشام فسادًا، تأتى الأنباء بقتل رسول رسول الله صبرًا فى مشهد مأساوى يورى بالجبروت.. أرسل عليه السلام صاحبه الحارث بن عمير الأزدى بكتاب مسالمة وهداية إلى حاكم بُصرى من قبل هرقل.. فى «مؤتة»: بأدنى «البلقاء» دون دمشق فى الطريق المصعد إلى الشام، يعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فيوثقه رباطًا ويقدمه ويضرب عنقه صبرًا!!

«المسجد النبوى، النبى - عليه السلام - بين الصحابة قد دعا إليه المسلمين يخبرهم بالنبأ الحزين الذى اشتد على الرسول حتى قرأ الناس ذلك على محياه.. تنفلت بين المسلمين مشاعر الغضب المخلوطة بالأحزان لما تعرض له رسول لم يحمل إلاّ كتاب موادعة وهداية وسلام.. لم يعد في قوس الصبر منزع، فلم ينصرف الناس إلاّ وقد دعاهم إمام العزم الأكبر للتجمع بالجُرف انتظارًا لما سوف يكون!».

* * *

«الجُرف: على ثلاثة أميال من المدينة إلى جهة الشام، وقد تجمع نحو ثلاثة آلاف وعسكروا ترقبًا وانتظارًا.. النبى - عليه السلام - يصلى بالناس صلاة الظهر، ويجلس ويجلس إليه أصحابه فتجمع الآراء على وجوب الخروج للموضع الذى فيه قتل الحارث صبرًا.. النبى - عليه السلام - يقف فى الناس فتتخافت الأصوات حتى تسكن تمامًا ويسود صمت مطبق مشحون بالترقب.. النبى ﷺ يحمد الله ويثنى عليه، ويعلم الناس أنهم خارجون للقاء المعتدين المتجبرين فى المكان الذى قتلوا فيه رسول السلام».

النبى : (مناديًا) زيد بن حارثة أمير الناس، فإن أصيب زيد فجعفر ابن أبى طالب على الناس، فإن أصيب جعفر فعبد الله ابن رواحة، فإن أصيب فليرتض المسلمون رجلاً فليجعلوه عليهم..

«يتقدم من بين الحاضرين يهودى يدعى النعمان بن فنحص (أو مهضّ)، فيسعى إلى رسول الله..».

النعمان بن فنحص : يا أبا القاسم إن كنت نبيًا فسمّيت من سميت قليلا أو كثيرًا أصيبوا جميعًا، إن الأنبياء من بنى إسرائيل كانوا إذا سمّوا الرجل على القوم فقالوا: إن أصيب فلان ففلان، أصيبوا جميعًا ولو سمّوا مائة!

«يتجه اليهودى إلى زيد بن حارثة..».

النعمان بن فنحص : (لزيد) اعهد فإنك لا ترجع أبدًا إلى محمد إن كان نبيًّا!

زيد بن حارثة : (فى سكينة وثبات) أشهد أنه نبى صادق بار..

* * *

«بعد يوم فى «ثنية الوداع» وقد خرج النبى - عليه السلام - لوداع الناس، يدفع عليه السلام لواء أبيض إلى زيد بن حارثة، ويوصيه بأن يأتوا مكان مقتل الحارث بن عمير.. ثم يمشى عليه السلام والصحابة بين الناس داعين ومودعين لهم.. يأمر عليه السلام من ينادى فى الخارجين».

منادى الرسول : (ينادى) دفع الله عنكم، وردكم صالحين غانمين.

«عبد الله بن رواحة محوط بالمودعين له من الأنصار والمهاجرة، يغلبه التأثر فتنثال دموعه..».

المودعون : ما يبكيك يا ابن رواحة؟

عبد الله بن رواحة : أما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة بكم، ولكنى سمعت رسول الله يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار - سمعته يقرأ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [سورة مريم: آية: ٧١] (يستأنف) فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود؟!

أحد المودعين : (يتلو مسريًا) ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [سورة مريم: آية: ٧٢]

المودعون : صحبكم الله ودفع عنكم، وردكم إلينا صالحين..

عبد الله بن رواحة : (ينشد)

لكننـى أسأل الرحمن مغفرةً وضربةً ذات فَرْغٍ تقذف الزَّبـدا

أو طعنــةٌ بيدى حَـرَّان مُجْهِـزَةً بحـربةٍ تُنْفـذ الأحشـاءَ والكبـدا
حتى يُقال إذا مروا على جَدَثـى أرشـده الله من غـازٍ وقـد رَشَـدا

«النبى – عليه السلام – يقف فى المسلمين فيناديهم موصيًا..».

النبى : (موصيًا) أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرًا.. اغـزوا باسـم الله فـى سبيل الله، لا تغـدروا ولا تُغلوا ولا تقتلوا وليدًا.. قاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام، وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين الناس، فلا تعرضوا لهم، وستجدون آخرين للشيطان فى رؤوسهم مفاحص (جمع مفحص – موضع رقاد القطاة على بيضها – والمراد أن الشيطـان قد استوطن فى رؤوسهم)، فاقلعوها بالسيوف.. لا تقتلن امـرأة ولا صغيرا ضَرَعًا ولا كبيرًا فانيًا، ولا تقربن ولا تغرقن نخلا ولا تقطعُنّ شجرًا ولا تهدمن بيتًا..

(يستأنف) إذا لقيتم عدوكم من المشركين فادعوهم إلى إحدى ثلاث، فأيتهن ما أجابوا إليها فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، ثم ادعوهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، فإن فعلوا فأخبروهم أن لهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبروهم أنهم يكونون كأعـراب المسلمين يجـرى عليهم ما يجرى على المؤمنين، لا يكون لهم فى الفىء ولا فى القسمة إلاّ أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فادعوهم إلى إعطاء الجزية، فإن فعلوا فاقبلوا منهم وكفوا عنهم، فإن هم أبوا فاستعينوا بالله وقاتلوهم، وإن أنتم حاصرتم أهل حصن أو مدينة فأرادوكم أن تستنزلوهم على ذمة الله وذمة رسوله

فلا تجعلوا لهم ذمة الله وذمـة رسولـه، ولكـن اجعلوا لهم ذمتكم وذمة آبائكم فإنكم لا تدرون أتصيبوا حكم الله فيهم أم لا.. إنكم إن تُخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تُخفروا ذمة الله وذمة رسوله.

«تتعالى تكبيرات المسلمين، ويتهيأ الخارجون للرحيل مشيعين بدعاء الرسول والمسلمين.. ينسلت عبد الله بن رواحة ويذهب إلى رسول الله مودعًا ويرتجل منشدًا..».

عبد الله بن رواحة : أنـت الرسـولُ فمـن يحرم نوافلُهُ والوجْـهَ من فقتد أزرى به القـدرُ
إنى تفرسـت فيـك الخيـر نافلـةً الله يعلـم أنـى ثـابتُ البصـــر
فثبـت الله مـا آتـاك مـن حَسَـنٍ فى المرسلين ونصرًا كالذى نُصروا

«النبى – عليه السلام – يبتسم له مشجعًا، بينما يشد المسلمون رحالهم إلى «مؤتة» حيث مكان مقتل رسول رسول الله..».

* * *

«المدينـة، المسجد النبوى بعد صلاة الجمعة، يلتفت عليه السـلام، فيلفـى عبد الله بن رواحة بين المصلين..».

النبى : (مدهوشًا) ما منعك أن تغدو مع أصحابك؟!

عبد الله بن رواحة : أردت أن أصلى معك الجمعة ثم ألحقهم.

النبى : (ناصحًا فى رفق) لو أنفقت ما فى الأرض جميعًا ما أدركت غدوتهـم.. لغـدوة أو روحة فى سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها..

عبد الله بن رواحة : يا رسول الله مُرنى بشىء أحفظه عنك!

النبى : إنك قادم غدًا بلدًا السجود فيه قليل، فأكثرْ السجود.

عبد الله بن رواحة : زدنى يا رسول الله!

النبى : اذكر الله، فإنه عون لك على ما تطلب..

«ينهض عبد الله بن رواحة، ويشرع فى الانصراف، ولكنه يرجع فيعود بعد عدة خطوات!».

عبد الله بن رواحة : إن الله وتْر يحب الوتْر!

النبى : يا ابن رواحة ما عجزت فلا تَعجزن إنْ أسأت عشرًا أن تحسن واحدة..

عبد الله بن رواحة : (فرحًا) لا أسألك عن شىء بعدها يا رسول الله.

«ينصرف طائرًا ليلحق بأصحابه..».

* * *

«قافلة المجاهدين فى طريقها ليلا فى وهاد الصحراء، لا يسمع مع هدأة الليل وسكونه إلاّ دبيب خطوات السائرين ورغاء الإبل.. زيد بن أرقم: يتيم فى حجر عبد الله بن رواحة، وقد أردفه ابن رواحة خلفه على حقيبة رحله، يشد زيدًا من منامه صوت شجى يصافح سكون الصحراء.. إنه راعيه عبد الله بن رواحة..».

عبد الله بن رواحة : (ينشد بصوت شجى)

إذا أديْتنـى وحملـت رَحْلـى ... مسيرةَ أربـع بعـد الحسـاء

فشـأنـك أنعـمُ وخَـلاكَ دَمُ ... ولا أربع أرجع إلى أهلى ورائـى

وآب المسلمـون وغـادرونـى ... بأرض الشام مُشْتَهِىَ الثـواء

وردُّك كـل ذى نسب قريـب ... إلى الرحمن منقطع الإخـاء

هنـالك لا أبـالـى طَلْـع بعـلٍ ولا نَخْـلٍ أسـافِلُهـا رواء

«زيد بن أرقم وقد مسته معانى الإنشاد الحزين الذى يسمع.. تنثال عبراته وهو يسمع راعيه يودع الدنيا ويدعو ربه أن ينال الشهادة وأن يكون مثواه فى هذه الأرض البعيدة.. يشتهى الثواء فيها، ولا يريد منها رجوعًا!!.. ابن رواحة يلتفت إلى بكاء زيد الذى صار نشيجًا فيخفقه برفق بالدرة..».

عبد الله بن رواحة : ما عليك يالُكع أن يرزقنى الله الشهادة فأستريح من الدنيا ونَصَبها (تعبها) وهمومها وأحزانها، وترجع بين شعبتى (طرفى) الرَّحْل!

«الغلام يحاول أن يمسك نشيجه، بينما ابن رواحة يستغرق فى صلاة خاشعة ودعاء طويل، حتى إذا ما فرغ نادى زيدًا..».

عبد الله بن رواحة : يا غلام.

زيد بن أرقم : لبيك.

عبد الله بن رواحة : هى إن شاء الله الشهادة..

«الاثنان يطويهما السكون حتى ليكاد القريب أن يسمع وجيب القلوب..».

* * *

«أرض «معان» بالشام، بها حصن كبير من أرض فلسطين على خمسة أيام من دمشق فى طريق مكة.. يضع المسلمون رحالهم ويتسقطون الأخبار

بعد أن دلت الشواهد والعيون أن شرحبيل بن عمرو الغسانى قد سمع بخروجهم من المدينة، وبث العيون والطلائع والأرصاد، وأخافه أن أخاه «سدوس» الذى أرسله فى خمسين مقاتلا قد قتل ومن معه بوادى القرى وهو يتجسس على المسلمين، فأخذ شرحبيل يستنهض القبائل ويلح على هرقل أن يجيش الجيوش للقاء المسلمين القادمين.. تتوالى الطلائع التى أرسلها المسلمون فى الإتيان بالأخبار، لقد حشد هرقل آلافا يتناقل الطلائع أنها بلغت المائة ألف نزل بهم «مآب» من أرض «البلقاء».. وانضم إليه آلاف من لخْم وجُذام وقبائل قضاعة من بلقين (بنو القين من قضاعة) وبلىٌّ وبهراء ووائل وبكر، وأن على هؤلاء رجلاً يقال له: مالك بن رافلة.. يتأكد للمسلمين أن الحشود بآلاف كثيفة مزودون بالسلاح والعتاد والكراع فى أعداد غفيرة لا تكاد تحصى.. لم يكن فى حسبان المسلمين أن تلقاهم هذه الجموع الغفيرة والجيش بالغ الضخامة.. يجتمع أهل الرأى لينظروا كيف يواجهون هذه الحشود غير المتوقعة!!».

زيد بن حارثة : (لأمراء الأجناد) أشيروا علىَّ أيها الناس.. ها أنتم ترون العدو قد أربى على مائتى ألف، ونحن لا نزيد على ثلاثة آلاف!

بعضهم : نكتب إلى رسول الله نخبره بكثرة عدونا ونخبره الخبر..

آخرون : إمّا يردنا وإمّا يزيدنا رجالا، وإمّا أن يأمرنا بأمر فنمضى له..

عبد الله بن رواحة : يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون: الشهادة، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، وما نقاتلهم إلاّ بهذا الدين الذى أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين: إمّا ظهور، وإمّا شهادة وليست بشرّ المنزلتين.

المسلمون : (يتنادون) قد والله صدق ابن رواحة..
قد والله صدق ابن رواحة..

* * *

«عند تخوم «البلقاء» – تلاقى المسلمين جموع هرقل من الروم والأعراب، يعسكرون عند قرية من قرى «البلقاء» يقال لها «المشارف».. يتداول قادة المسلمين فينحازون إلى قرية «مؤتة»، حيث أخذوا يعبئون قواتهم فيها، فجعلوا على الميمنة رجلاً من عُذْرة هو قُطْبة بن قَتَادة، وعلى الميسرة رجلاً من الأنصار هو عبادة بن مالك.. الفريقان قائمان على قدم وساق يترقبان، حتى بدأ الرومان ومن معهم القتال. فلاقاهم المسلمون فى قتالٍ شديد حتى حمى الوطيس واحمرت الحدق..».

«فى جانب من ميدان المعركة، زيد بن حارثة يقاتل فى بسالة، يذب المتكالبين عليه ذبًّا، فيتكاثرون عليه يضربونه بالسيوف ويطعنونه

بالرماح حتى غلبته الجراح.. يفتر وجهه وهو يحتضر عن ابتسامة راضية وهو يلمح جعفر بن أبى طالب يطير إليه ليلتقط اللواء قبل أن يهوى.. تتحدث عيونهما بما لا تنطق به الشفاه.. بينما يطير جعفر حاملا اللواء إلى أتون القتال..».

جعفر بن أبى طالب: (مرتجزًا وهو يقاتل)

يـا حبـذا الجنـةُ واقترابُهـا طيبـةً وبـاردًا شـرابُهـا
والـروم روم قد دنا عـذابهـا وكـافـرةً بعيـدةً أنسابُهـا
علـىّ إذْ لاقيتُهـا ضِرابُهـا

«جعفر بن أبى طالب يقتحم صفوف الروم المتكالبة عليه يدمدم كالإعصار وصوته يتعالى بهذا الرجز الذى يزيده القتال وهجًا وارتفاعًا.. يلاحظ أفراد الروم أن قتال جعفر يبث الروح فيمن حوله، فيتكاثرون عليه ينهشونه بالسيوف ويطعنونه بالرماح.. يتلقى جعفر ضربة هائلة تطيح بيمينه. ولكن يساره تسارع إلى اللواء تتلقاه قبل أن يسقط.. الروم ينظرون بغيظ إلى هذا اللواء الذى صار رمزًا، فيطيحون بالشمال التى تحمله، فيسارع جعفر فيحتضن اللواء بين عضديه.. لا تشغله جراحه ولا يهدأ قلقه وهو يجود بروحه، إلا حين التقطت نظراته الزائغة المودعة عبدالله بن رواحة يشق الصفوف إليه كالسهم ليتناول اللواء ويمضى به إلى المصير الذى به تحدثت نفسه ودعا الله إليه..».

عبدالله بن رواحة : (ينشد وهو يصول ويجول)

أقسمت يا نفسُ لتنزلنَّه طائعةً أو لَتكْرهِنّهْ

إنْ أجلب الناس وشدوا الرنه مالى أراك تكرهين الجنة؟

قد طال ما قد كنتِ مطمئنهْ هل أنت إلاّ نطفةُ فى شَنّهْ

«أحد أبناء عمومة عبد الله بن رواحة يشفق عليه مما بذله ويبذله ويلقاه فى هذا القتال العنيف.. يطير إليه بعرق من لحم..».

ابن العم : (لابن رواحة) شد بهذا صلبك فإنك لقيت فى يومك ما لقيت..

«ابن رواحة يتناول عرق اللحم، فيقضم منه قضمة، فلا يكاد يفعل حتى تقرع سمعه أصوات النزال والضرب الذى اشتد فى جانب الميدان..».

عبدالله بن رواحة : (كالمعاتب لنفسه) وأنت فى الدنيا؟!

«يلقى ابن رواحة ما بيده ويرفع سيفه ويقتحم غمار القتال..».

(يستأنف مرتجزًا) : يا نفسُ إلاّ تُقتلى تموتى هذا حِمام الموت قد صَليتِ

وما تمنيت فقد أعطيت إن تفعلى فعلهما هُديت

«ابن رواحة يمضى فى القتال لايهدأ ولا يكل يريد أن يلقى مناه، وأن يلحق بصاحبيه.. تعصف ضربات السيوف والنبال بابن رواحة حتى أخذ يتهاوى جسده وهو ينشد بصوت متهدج..».

ابن رواحة : (وهو يجود بروحه)

حتى يقال إذا مروا على جدثى يا أرشد الله من غازٍ، وقد رشدا

«تصعد روحه، بينما يسرع إليه ثابتُ بن أرقم فيلتقط الراية، وينادى فى الناس وقد أخذتهم القارعة وأخذ بعضهم يولى مذهولاً..».

ثابت بن أرقم : (مناديًا) يا معشر المسلمين.. إلىّ أيها الناس.. إلىَّ أيها الناس..

«يفىء الناس إليه، ويتجمعون حوله لا يفارقهم ما هم فيه من ذهول وكرب عظيم..».

(يستأنف) اصطلحوا على رجل منكم.

المسلمون : أنت.

ثابت بن أرقم : ما أنا بفاعل، فاصطلحوا على رجل منكم..

«المسلمون تنهشهم الحيرة، لا يدرون فى هذا الموقف الجلل من يختارون.. ثابت بن أرقم يخرجهم من حيرتهم، ويمشى باللواء إلى خالد ابن الوليد..».

خالد بن الوليد : لا آخذه منك أنت أحق به.. أنت رجل لك سن، وقد شهدت بدرًا..

ثابت بن أرقم : (ملحًا) خذه يا أبا سليمان فأنت أدرى بالقتال منى، والله ما أخذته إلاَّ لك.. (مناديًا فى الناس) أترضون إمرة خالد؟

المسلمون : (فى صيحة رجل واحد) نعم.

«خالد بن الوليد يتناول اللواء، ويسارع بالناس فيدافعهم ويحاشى بهم، ثم ينحاز إلى جانب المعركة حتى انصرم النهار وحال الليل بين المتقاتلين..».

* * *

«مضارب المسلمين وخالد لا يهدأ طوال الليل ولا يدع أحدًا يهدأ.. يصرف ساعات الظلام فى إعادة ترتيب المسلمين، فأخذ ينقل الميمنة إلى

اليسار فجعلها ميسرة الجيش، ونقل الميسرة فجعلها ميمنة، وجعل مقدمته فى المؤخرة، وقدم المؤخرة فجعلها فى مقدمة الجيش.. لا يدرى أحد ماذا يدبر خالد وإلام يريد!!..».

* * *

«فى الغداة، يلتقى الفريقان، فيفجأ الروم ومن معهم بأن الذى أمامهم ناس ورايات غير ما كان أمامهم بأمس، فتختلط عليهم الأمور ويظنون أن المسلمين قد تلقوا أمدادًا بليل.. يتمكن خالد أن يحدث ثغرة فى صفوف الروم مع المفاجأة التى أخذتهم، حتى إذا ما خلخل صفوفهم سارع بالانحياز بالمسلمين والتخلص من المعركة عائدًا بمن استطاع العودة بهم سالمين..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، والجميع يترقبون أخبار الجيش الذى خرج إلى الشام ولم يصل عنه شىء، ولا جاءت بشأنه أى أخبار.. الصحابة يفجأون بأن النبى عليه السلام ينعى إليهم زيدًا وجعفرًا وابن رواحة.. تدور نظراتهم حائرة وهم يسمعون النبى يحدثهم عما يراه فى الشام..».

النبى : أخذ الراية زيد فأصيب، ثم أخذها جعفر فأصيب، ثم أخذها ابن رواحة فأصيب (بعد برهة) ثم حمى الوطيس..

المسلمون : كيف يا رسول الله..؟!

النبى : أخذ الراية سيف من سيوف الله ففتح الله عليه.. (داعيًا) اللهم إنه سيف من سيوفك فانصره..

* * *

«المسجد النبوى – يدخل يَعْلى بن أمية قادمًا بخبر أهل مؤتة..».

النبى : (ليَعْلى بن أمية) إن شئت فأخبرنى وإن شئت أخبرك.

يعلى بن أمية : أخبرنى يا رسول الله.

«النبى عليه السلام يخبر ويصف ما نعاه للمسلمين قبل أن يأتيه خبر من الشام..».

يعلى بن أمية : (مدهوشًا) والذى بعثك بالحق ما تركت من حديثهم حرفًا لم تذكره، وإن أمرهم لكما ذكرت..

النبى : إن الله قد رفع لى الأرض حتى رأيت معتركهم..

«تتصاعد تكبيرات المسلمين..»

* * *

«على مشارف المدينة من ناحية الشمال، وقد خرج المسلمون ليتلقوا العائدين بالجُرف.. تتقاذفهم مشاعر متباينة، تتملكهم الأحزان على الشهداء والأبطال الراحلين، ويسوؤهم أن الروم قد انتصروا عليهم.. لا يتيح لهم الأسف على ظفر الروم والأعراب أن يتأملوا فى البراعة والبطولة التى استطاع بها خالد بن الوليد أن ينسلت من معركة غير متكافئة، وأن يقى المسلمين من كارثة كان يمكن أن تحيق بهم إزاء جيش كثيف

السلاح والعتاد وتعداده نحو سبعين ضعف تعداد المسلمين..».

«بعض الصبيان يستقبلون العائدين بالنكير، ويشتط بعضهم فيحثوا التراب على وجوههم..».

بعض الصبية : (وهم يحثون التراب) أفررتم فى سبيل الله.. يا فرار فررتم فى سبيل الله..

«يظهر النبى عليه السلام قادمًا مع بعض القوم على دابة.. ما إن يتنبه الصبية إلى مقدمه حتى يكفوا أيديهم وألسنتهم..».

النبى : (فى حزم رفيق) ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله عز وجل.

«النبى عليه السلام يحسن استقبال العائدين، ويكفكف عنهم، ويعدهم النصر بأمر الله.. يتلقى منهم أنباء ما جرى، واستشهاد من استشهدوا، فيقف عليه السلام فى الأنصار والمهاجرين يعظهم ويواسيهم فى الراحلين الذين بذلوا أرواحهم فى سبيل الله.. ويدعو لخالد بن الوليد سيف الله المسلول ما أحسن صنعه فى وقاية المسلمين من الشر الخطير الذى أحدق بهم وكاد يذهب ريحهم..».

النبى : (للأنصار والمهاجرين) أخذ الراية زيد بن حارثة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا!

«تتصاعد تكبيرات وترحمات المسلمين..».

(يستأنف) ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيدًا!

«تتصاعد تكبيرات وترحمات المسلمين.. النبى يتمهل لحظة بدت للأنصار كالدهر، يترقب الأنصار أن يسمعوا ذكر صاحبهم عبد الله ابن رواحة.. يتساءلون فيما بينهم ما بال الرحمة المهداة – عليه السلام – صمت ولم يذكره، أترى ابن رواحة كان منه بعض ما يكرهون، فلم يرض النبى المصطفى عنه.. وإن الأنصار لفى القلق الذى تغشاهم، يسمعون صوت النبى – عليه السلام – يقطع سكون المترقبين..».

النبى : (يستأنف) ثم أخذها عبدالله بن رواحة فقاتل بها حتى قتل شهيدًا!!

«تتصاعد تكبيرات وترحمات المسلمين مخلوطة بمسرات فوز الراحلين بدرجة الشهداء والصديقين..».

* * *

«دار جعفر بن أبى طالب، وزوجه أسماء بنت عميس قائمة على شئون بيتها.. دبغت أربعين «مَنًّا» وعجنت عجينها وغسلت بنيها.. لا تدرى شيئًا من نبأ جعفر.. يستأذن عليها رسول الله عليه السلام، بادى الحزن ذارف العينين، يغالب أحزانه فيقول لها..».

النبى : ائتنى ببنى جعفر يا أسماء!

«النبى عليه السلام يحتضن ويضم إليه بنى جعفر، تغالبه عبراته!».

أسماء بنت عميس : (وهى تنظر إليه وجلة) يا رسول الله بأبى أنت وأمى! ما يبكيك؟! (تستأنف وقلبها يحدثها بأمر جلل) أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء يا رسول الله؟!

النبى : نعم. أصيبوا هذا اليوم!

«أسماء تغلبها الصدمة والحزن لرحيل الزوج ورفيق الهجرة الطويلة.. يعلو نشيجها وصياحها، ويجتمع إليها نساء المسلمين.. النبى عليه السلام يغادر فى هدوء حاملا أحزانه معه..».

النبى : (لأسماء مصبرًا مواسيًا) يا أسماء، لا تقولى هُجْرًا ولا تضربى صدرًا! (داعيًا) اللهم إن جعفرًا قد قدم إلى أحسن الثواب، فاخلفه فى ذريته بأحسن ما خلفت أحدًا من عبادك فى ذريته.. (يستأنف) يا أسماء ألا أبشرك؟

أسماء : بلى. بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

النبى : فإن الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة.. لقد رأيته فى الجنة.. له جناحان مضرجان بالدماء، مصبوغ القوادم!!

أسماء : بأبى وأمى يا رسول الله، فأعلم الناس بذلك!

«النبى عليه السلام ينصرف واعدًا إياها أنه سيفعل..».

* * *

«بيت النبى عليه السلام، يدخل فيلفى أم أبيها فاطمة الزهراء قد بلغها النبأ فانطلقت أحزانها وارتفع نشيجها».

فاطمة : (باكية) وا عماه! واعماه!

النبى : على مثل جعفر تبكى الباكية.. (يستأنف لأهل البيت) لا تغفلوا عن آل جعفر أن تصنعوا لهم طعامًا فإنهم قد شغلوا عن أنفسهم اليوم!

* * *

«بالمسجد النبوى، النبى عليه السلام وسط صحابته وعامة المسلمين، يعظهم ويواسيهم ويذكر لهم الفضل العظيم الذى ذهب به الشهداء الراحلون.. يذكر منازلهم فى جنات النعيم: زيد وجعفر وابن رواحة وباقى من ظفروا بالشهادة.. تطوف بخواطر المسلمين وهم يسترجعون أحداث مؤتة ما كان قد تنزل سالفًا من الذكر الحكيم.. ألم يعدهم الله تعالى بأنه سبحانه يؤيد بنصره من يشاء؟!..».

أحد الصحابة : (يتلو) ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة آل عمران: آية: ١٣]

«تتصاعد فى جنبات المسجد دعوات وتكبيرات المسلمين، مقرونة بالرحمات والرجوات، بقلوب مملوءة بالإيمان، راضية فرحة بما فاز به الشهداء الراحلون..».

* * *